ماذا أرُدُّ للرب؟

تحتفل الولايات المتحدة الأمريكية بيوم الشكر، وذلك في اخر يوم الخميس من شهر نوفمبر(تشرين الثاني) من كل سنة. طبعاً تكون الكرازة عن الشكر – وتكون الدروس بالعادة عن الشكر للرب.

تأليف: دفيد روبر

هناك نصب تذكاري قائم في المركز التجاري لمدينة سدني باستراليا بين المباني الطويلة والذي لا يبعد عن الميناء في ذكرى أول خدمة عبادة قام بها الماهاجرون الإنجليز.

تخيل عندما وصلت أول سفينة مليئة بالمهاجرين إلى ما يسمى الآن بميناء سيدني في السادس والعشرين من شهر يناير سنة ١٧٨٨. وتم تأسيس مستعمرة صغيرة هناك. وفي الثالث من شهر فبراير شقوا طريقهم براً إلى داخل البلاد وسريعاً ما بداءوا بالبناء. لقد مات الكثيرون في تلك الرحلة. ولم يملك الناجون شيئاً إلا القليل فقط. لم يكن حولهم إلا القفر والفقر الذي كان يعيشه شعب بدائي.

وفي الوقت المحدد وقف المبشر ريتشارد جونسون لالقاءكلمة. ما هو النص المقدس الذي قد يكون مناسباً لمثل تلك المناسبة؟ ماذا عن سفر أيوب ٥: ٧: « ... الإنسان مولود للمشقة كما أن الجوارح لارتفاع الجناح »؟ يبدو المزمور ١٣: ١ مناسباً أيضاً: « إلى متى يا رب تنساني كل النسيان؟ إلى متى تحجب وجهك عني؟ » لم يختر السيد ريتشارد جونسون نصاً كهذين النصين، بل كان النص الذي اختاره هو المزمور ١١٦: ١٢: « ماذا أرُدُّ للرب من أجل كل حسناته لي؟ » لم يملك أولئك الناس شيء يذكر؛ ولكنهم كانوا أحياء وأحرار، والمستقبل يبشر بالنجاح. كانوا شاكرين بسبب ما اصبح عندهم.

عد بنظرك من ذلك التجمع القديم إلى خدمة العبادة في يومنا هذا. نحن بين الأصدقاء والأحباء، وبين إخوة وأخوات في المسيح. لسنا عبيد، بل أحراراً؛ ومعظمنا متحررين من الناحية السياسية، ولكن جميع المسيحيين متحررين روحياً. لقد باركنا الرب بكثرة. فمن الأولى بنا أن نسأل: « ماذا {نرد} للرب من أجل كل خيراته {لنا}؟ »

كل خيراته لنا

لنبدأ بملاحظة « حسناته {لنا} ». علينا أن نحسب بركاتنا من وقت إلى آخر.

خيراته الروحية

تأتي في المقام الأول بركاته الروحية لنا. « مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح » (أفسس ١: ٣).

أعظم عطية روحية هي عطية ابنه. « لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » (يوحنا ٣: ١٦). لي ثلاث بنات، ولكني لا أريد أن أبذل أية منهن لأجل البشرية. اما الله فلم يكن له إلا ابناً واحداً، ومع ذلك بذل نفسه لأجلنا. « فشكراً لله على عطيته التي لا يعبر عنها » (٢ كورنثوس ٩: ١٥).

عطية عظيمة أخرى هي الكتاب المقدس. الكتاب المقدس هو وحي الله الكامل والأخير. « ... قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى ... » (٢ بطرس ١: ٣). يأهلنا الكتاب المقدس لنقوم بكل عمل صالح (٢ تيموثاوس ٣: ١٧). نحن كائنات نعبد، ويعلمنا الكتاب

المقدس كيف نعبد الله (يوحنا ٤: ٢٤). نحن خطاة ويخبرنا الكتاب المقدس كيف نخلص (مرقس ١٦: ١٥ و١٦). نحن كائنات نتألم، ويكشف لنا الكتاب المقدس عن الطبيب العظيم (متى ٩: ١٢). عندما يثبط عزمنا يقدم لنا الكتاب المقدس رسالة التشجيع. عندما نصير ضعفاء يمدنا بالقوة. عندما نكون سعداء يكَمّل فرحنا. عندما نيأس يعطينا الرجاء. عندما نشرَف على الموت، يعدنا بالحياة بنعمة الله.

توجد أيضاً عطية الخلاص، العطية التي تقوم بالكثير. «لأن أجرة الخطية هي موت، وأما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا» (رومية ٦: ٢٣).

عطية الكنيسة مرتبطة بعطية الخلاص: الكنيسة المرسلة من قبل السماء (أفسس ٢: ٢٢)، والمكللة بالمجد (١ كورنثوس ١٥: ٢٣-٢٦). الكنيسة هي عائلة روحية، التي فيها الله هو أبونا (١ تيموثاوس ٣: ١٥). هي المملكة التي يملك عليها المسيح (متى ١٦: ١٨ و١٩). هي الكرم الذي نعمل فيه (متى ٢٠: ١). هي جيش الله الذي نقاتل فيه من أجل الرب (١ تيموثاوس ٦: ١٢). هي هيكل الله الذي فيه نعبد الله (أفسس ٢: ٢١). هي «فلك الأمان»[١] و«مدينة الملجأ»[٢] حيث نجد حماية وخلاص (أنظر أفسس ٢: ١٦؛ أعمال ٢٠: ٢٨).

قد نضيف إلى كل هذا «المواعيد العظمى والثمينة» (٢ بطرس ١: ٤).

> ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله، الذين هم مدعوون حسب قصده (رومية ٨: ٢٨).
>
> لا تهتموا بشيء بل في كل شيء بالصلاة والدعاء مع الشكر لتعلم طلباتكم لدى الله. وسلام الله الذي يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع (فيلبي ٤: ٦ و٧).
>
> ... لأنه قال: «لا أهملك ولا أتركك» حتى إننا نقول واثقين: «الرب معين لي فلا أخاف. ماذا يصنع بي الإنسان؟» (عبرانيين ١٣: ٥ و٦).
>
> ملقين كل همكم عليه لأنه هو يعتني بكم (١ بطرس ٥: ٧).
>
> ولكن إن سلكنا في النور كما هو في النور فلنا شركة بعضنا مع بعض ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية (١ يوحنا ١: ٧).

وفوق كل شيء نتطلع إلى عطية السماء. في ذلك المكان الرائع «وسيمسح الله كل دمعة من عيوننا والموت لا يكون في ما بعد ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع في ما بعد لأن الأمور الأولى قد مضت» (رؤيا ٢١: ٤)!

خيراته المادية

رائعة جداً هي تدبيرات الله الروحية، ولكن لا يمكن التغاضي عن خيراته المادية لنا.

لقد أعطانا أُسَرنا: زوجاتنا أو أزواجنا وأولادنا. «امرأة فاضلة من يجدها؟ لأن ثمنها يفوق اللآلئ» (أمثال ٣١: ١٠). «... الزوجة المتعقلة فمن عند الرب» (أمثال ١٩: ١٤). «هوذا البنون ميراث من عند الرب ثمر البطن أجرة» (المزمور ١٢٧: ٣). قال شخص ما بان الأسرة المسيحية هي زهرة ثمرها هو {الدخول في} السماء.

يعطينا الله ضروريات الحياة. في الموعظة على الجبل وضع يسوع التوكيد على أن الله يعطينا «خبزنا اليوم» (متى ٦: ١١). يعطي الله القوت لـ«طيور السماء» ولنا أيضاً (متى ٦: ٢٦). لقد وعد يسوع باننا إذا طلبنا «أولاً ملكوت الله وبره»، ستكون لنا أيضاً ضروريات الحياة (متى ٦: ٣٣).[٣]

لقد أعطانا الله أيضاً أجسادنا وشيء من الغنى. قال داود باننا قد صنعنا بإعجازه المدهش (أنظر مزمور ١٣٩: ١٤).[٤]

---

[١] في أيام نوح، نجا الذين كانوا في الفلك بينما لم ينجو الذين كانوا خارجه.
[٢] عَيَّن الله مدن الملجأ في أرض الميعاد. وهي مدن يمكن أن يهرب إليها الناس لأجل الحماية (عدد ٣٥).
[٣] بما يختص باعطاء الله ضروريات الحياة أنظر أيضاً (تثنية ٨: ١٨؛ المزمور ٣٧: ٢٥).
[٤] أنظر الكتاب المقدس ترجمة «كتاب الحياة».

ثم هناك تدبير الله للسلام والحرية. في الرسالة الأولى إلى تيموثاوس ٢: ١ و٢، قيل لنا أن نصلي «لأجل جميع الناس ... وجميع الذين هم في منصب لكي نقضي حياة مطمئنة هادئة في كل تقوى ووقار». يتمتع المسيحيون في كثير من مناطق العالم ببركات سياسية رائعة، لهذا يستطيعوا التجمع معاً في كل أسبوع لعبادة الله.

لا يجب أن ننسى تدبير الله للجمال. نحن محاطين بالجمال: الشمس والقمر والنجوم؛ عجائب المواسم؛ الأشجار والزهور؛ الطيور والحيوانات. أشار بولس إلى «الإله الحي الذي خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها ... أنه لم يترك نفسه بلا شاهد وهو يفعل خيراً يعطينا من السماء أمطاراً وأزمنة مثمرة ...» (أعمال ١٤: ١٥-١٧).

إذن ماذا نردُّ للرب؟

يجب أن يحثنا الشكر لنسأل: «ماذا {نردُّ} للرب من أجل كل حسناته {لنا}؟» كيف نستجيب إلى كرم الرب؟ تخيل ما يلي: يعطيني شخص ما بيتاً جميلاً، وسيارة جديدة، وكمية هائلة من المال في البنك. وفي أحد الأيام يقول لي هذا الإنسان الكريم بانه يريد أن يقضي الليلة في بيتي وطلب مني أن آخذه إلى المطار في الصباح التالي. فأجبت قائلاً: «كلا! أنك تطلب أكثر مما ينبغي! هذا عبء ثقيل على زوجتي وعليّ. ليس لديَّ الوقت. هذا بالإضافة إلى انه يكلفني بعض النقود عند استعمال موقف السيارات بالمطار!». بالتأكيد ساكون ناكرا للجميل لو تصرفتُ هكذا. ألسنا ننكر الجميل إن لم نستجب بالإيجاب للرب بعد ما باركنا بفائق البركات؟

محبتنا

علينا أن نرد للرب محبتنا. يوجد نص درسنا هذا في المزمور ١١٦. يبدأ هذا المزمور بهذه الكلمات: «إني أحب الرب لأنه يسمع ابتهالي ويستجيب إلى تضرعاتي» (الآية ١).[٥] يضع العهد الجديد نفس الفكرة بالطريقة التالية: «نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً» (١ يوحنا ٤: ١٩).

توجد المحبة أولاً بقائمتنا لأن المحبة تنتج ردود فعل إيجابية. عندما يحب الرجل وزوجته بعضهما لا تكون هناك الكثير من «قوانين الزواج». عندما نحب الله حقاً سنفعل أي شيء وكل شيء لنرضيه.

شكرنا

علينا أن نرد للرب الجميل بالشكر. بعد ما سأل كاتب المزمور «ماذا أردُّ للرب من أجل كل حسناته لي؟» (مزمور ١١٦: ١٢)، وبعد آيات قليلة أجاب قائلاً: «فلك أذبح ذبيحة حمد وباسم الرب أدعو» (آية ١٧). وفي كتاب العهد الجديد كتب بولس: «شاكرين كل حين على كل شيء في اسم ربنا يسوع المسيح لله والآب» (أفسس ٥: ٢٠).

كثيراً ما نخفق في تقديم الشكر. خلال الحرب العالمية الثانية أرسل الجنرال جورج پاتون جندياً من اللواء الثالث في الجيش الأمريكي إلى معسكر الاستراحة. فأرسل له الجندي رسالة الشكر. قال الجنرال پاتون بانه عمل في الجيش لمدة خمس وثلاثون سنة، وكانت تلك أولى رسالة شكر يستلمها. قال بنجامين فرانكلين:[٦] «كما يجب أن نبين السبب في كل كلمة تافهة نقولها، هكذا أيضاً يجب أن نبين السبب في كل سكوت غير مفيد».

وقتنا

كيف نعبر عن محبتنا وشكرنا؟ لنجعل درسنا هذا عملي بقدر الامكان. علينا أن نرد للرب وقتنا. ناشد بولس قائلاً: «فانظروا كيف تسلكون بالتدقيق لا كجهلاء بل كحكماء مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة»

---

[٥] أنظر الكتاب المقدس ترجمة «كتاب الحياة».

[٦] بنجامين فرانكلين: سياسي وعالم أمريكي عاش ما نين سنة ١٧٠٦ إلى ١٧٩٠م.

(أفسس ٥: ١٥ و١٦). قد يحتج شخص ما ويقول: « أنت لا تعلم كم أنا مشغولاً. لا أملك وقتاً لأكرس نفسي للرب ». أفرض أن الطبيب قال لك أن تستريح في السرير لمدة ساعة إضافية كل يوم وإلا فستموت. أفرض أن الطبيب قال بأن عينيك تحتاجان إلى تمرين لمدة نصف ساعة كل يوم وذلك بالقراءة وإلا فستفقد نعمة البصر. أفرض أن المعلم يطلب منك مساعدة ابنك في دروسه لمدة ساعة كل يوم وإلا فانه سيفشل. هل ستجد وقتاً لذلك؟ إذن لنعطي وقتاً للرب .

قدراتنا

لنرد للرب القدرات التي أعطانا إياها. يعلمنا « مثل الوزنات » الوارد في إنجيل متى ٢٥: ١٤-٣٠ باننا جميعنا نملك قدرات من الله وبانه يجب أن نستخدمها لمجده. في هذا المثل، مضى الذي أخذ الوزنة الواحدة ودفن وزنته. لا نذنب بدفن قدراتنا في قبور الأنانية، أو اللا مبالاة، أو الفتور أو عدم الحماسة، أو الإثم.

أموالنا

ينبغي أن نرد لله ممتلكاتنا المادية أيضاً. في الأصحاح الثاني من سفر أعمال الرسل وُصف المسيحيون بانهم كانوا مسرورين و« ... كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب » (آية ٤٦). إذ أدركوا بركاتهم لم يترددوا في التخلي عن ممتلكاتهم لكي يعطوا « الجميع كما يكون لكل واحد احتياج » (آية ٤٥). حسب ما ورد في الأصحاح الثامن من الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس كان للمسيحيين الذين في مقدونية فرح وافر « فإن فرحهم الوافر مع فقرهم الشديد فاضا فأنتجا منهم سخاء غنياً » (آية ٢). تكون محبتنا سطحية إن لم تحثنا على استخدام بركاتنا المادية لتعزيز دعوى الله.

كل ما لنا

يمكن أن يقال الكثير أيضاً. لنلخص كيف يجب أن تكون استجابتنا بقول انه ينبغي أن نرد للرب « كل » ما لنا (أنظر متى ٢٢: ٣٧). لنعد إلى نص درسنا هذا للمرة الأخيرة. بعد ما طرح كاتب المزمور السؤال « ماذا أرد للرب ...؟ » (المزمور ١١٦: ١٤؛ أنظر أيضاً آية ١٨). أي بعبارة أخرى، كان يقول: « سأفعل كل ما وعدت به الرب ».

عندما صرنا (أنت وأنا) مسيحيين، اعترفنا بيسوع رباً (أعمال ٨: ٣٦؛ رومية ١٠: ٩ و١٠). في ذلك الاعتراف وفي المعمودية التي تبعت ذلك، أسلمنا للرب حياتنا. في الواقع، علينا ننذر عمل مشيئته دائماً.

الخلاصة

كتب فرانسيس هاڤرغال ما يلي:

> خذ حياتي وقدسها لك يا رب؛
> .....
> خذ محبتي يا ربي، أسكبها
> عند قدميك مخزن كنوزها؛
> خذني، وسأكون أبداً لك.

خيرات الله الأفضل هي لنا . فلنرد له الأفضل عندنا.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧